

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[39] الخطوط الرئيسية لمناهج عباد الله الحقيقيين المخلصين وذلك ضمن سبعة مناهج وردت في عدّة آيات تبدأ بكلمة (قل). الآية الأولى تحتّ النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) على التقوى: (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) (1). نعم، فالتقوى هي الحاجز الذي يصدّ الإنسان عن الذنوب، وتجعله يحسّ بالمسؤولية وبتكاليفه أمام الباريّ، عزّ وجلّ، هي المنهج الأوّل لعباد الله المؤمنين و المخلصين، فالتقوى هي الدرع الذي يقي الإنسان من الدّار، والعامل الرئيسي الذي يردعه عن الانحراف، فالتقوى هي ذخيره الكبيرة في سوق القيامة، وهي ميزان شخصية وكرامة الإنسان عند الباريّ عزّ وجلّ. المنهج الثّاني يختص بالإنسان والعمل الصالح في هذه الدنيا التي هي دار العمل، وقد شجعت الآية الناس وحثتهم على عمل الإحسان، من خلال بيان نتيجة ذلك العمل: (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) (2). نعم فالإحسان بصورة مطلقة في هذه الدنيا – سواء كان في الحديث، أو في العمل، أو في نوع التفكير والتفكير بالأصدقاء والغرباء – يؤدّي إلى نيل ثواب عظيم في الدنيا والآخرة، لأنّ جزاء الإحسان هو الإحسان. وفي الواقع فإنّ التقوى عامل ردع، والإحسان عامل صلاح، وكلاهما يشمل (ترك الذنب) و (أداء الفرائض والمستحبات). المنهج الثّالث يدعو إلى الهجرة من مواطن الشرك والكفر الملوثة بالذنوب، قال تعالى: (و أرض الله واسعة).

_____ 1 – من البديهي أنّ الخطاب بعبارة "يا عبادي" هو من الله، وإن كان المخاطب هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالمقصود هنا أن أبلغهم خطابي.

2 – أغلب المفسّرين اعتبروا عبارة (في هذه الدنيا) تعود على عبارة (أحسنوا)، و استناداً لهذا فإنّ "حسنة" مطلقة تشمل كل حسنة في الدنيا والآخرة، و مع إنتباه إلى أن استعمال التنوين في مثل هذه الموارد إنّما هو لإعطاء الكلمة طابع التفخيم و العظمة، فإنّه يفيد بيان عظمة الثواب.